ومن معايبهم وعقائدهم التى يرتكز عليها كثير من أخلاقهم تزول وتتغير

ع . أ . الانبابى

عبد الملك بن مروان

كان عبد الملك بن مروان أعلم خلفاء بنى أمية ومعقد فخارهم . من أية ناحية نظرت اليه ألفيته جواداً لا يشق غباره وفلاً لا يقدع أنفه وخصماً يدين له الألداء بالتسليم والاذعان . فان طلبت سياسة ألفيت حكمة وخبرة وطدت الملك وقوته وجعلته للطائع العسل حلاوة والماء سلاسة وعلى العاصى الصاب والعلقم طعماً والشوك والحسك مساً ولمساً وان أردت ديناً وعلماً وجدت الشريعة سلمت اليه بزمامها وألقت عنده بعصا تسيارها من شدة حفظ للكتاب والحديث الى جودة فقه لدقيق معانيهما الى بعد نظر فى الفلسفة وأصول التشريع . فاذا ما نشدت أدباً وهو المقصود هنا والمنشود هالك البحر الخضم بغزير مائه وبعد قراره ومرتمى ساحله ان استسقيت رواك بفيضه وان جادلت هاضك بموجه .

قلنا ان الأدب هو المنشود هنا والمقصود ونزيد أنا لن ننظر منه الى غير الشعر فهو الأثر الأظهر من كلام العرب والكتاب الأبين عما كان لهم من فضل أدب وأدب فضيلة بل هو منتهى فصاحتهم وبلاغتهم وحلبة المجلين من فرسانهم فى كل بيان كالسحر وسحر هو البيان . ولما كانت علاقة عبد الملك بالشعر ذات مناح مختلفة رأينا أن نتكلم فى كل منحى على حدة حتى يتسنى لنا حسن الافصاح وحضرات

القراء جودة الالمام

أولاً — شدة بصره بالشعر

نوجز فى التعبير عن هذا فنقول . كان عبد الملك بالشعر عالماً كبيراً وخبيراً بصيراً . فكان بصيراً بمحاسنه وما ينبغى أن يختار منه خبيراً بغريبه وما يستعصى على سماره عالماً بالذى قال الشعراء وما من أجله قالوا .

١ فأما البصر بالمحاسن فمنه ما يأتى :

ا — قال يوماً وعنده عدة من أهل بيته وولده ليقل كل واحد منكم أحسن شعر سمع فذكروا لامرئ القيس والأعشى وطرفة فأكثروا حتى أتوا على محاسن ما قالوا فقال أشعرهم والله الذى يقول

وذى رحم قامت أظفار ضغنه ... بحلمى عنه وهو ليس له حلم
اذا سمته وصل القرابة سامنى ... قطيعتها تلك السفاهة والظلم
فأسعى لكى أبنى وبهدم صالحى ... وليس الذى يبنى كمن شأنه الهدم
يحاول رغمى لا يحاول غيره ... وكالموت عندى أن ينال له رغم
فما زلت فى لين له وتعطف ... عليه كما تحنو على الولد الأم
لأستل منه الضغن حتى سللته ... وان كان ذا ضغن يضيق به الحلم

قالوا ومن قائلها يا أمير المؤمنين قال معن بن أوس المزنى :

وهذا خير شعر يرى كيف يكون حلم الحلماء وحسن سياستهم وحكيم معاملتهم حتى يستل الضغن ويستأصل الجهل وهو ما اليه قصد عبد الملك ولمثله أراد فى وقت انتهى فيه من إخضاع الفتن وإذلال العصاة وكان أولى بمن سأل وكلهم من ولده وأهل بيته أن يلموا بهذا

المعنى ولا يغادروه الى غيره مهما كان فى الحسن متغلغلاً ولأكبر حظ منه آخذاً .

ب — وقال يوماً لمؤدب ولده اذا رويتهم شعراً فلا تروهم إلاّ مثل قول العجير السلولى .

يبين الجار حين يبين عنى ... ولم تأنس الى كلاب جارى
وتظعن جارتى من جنب بيتى ... ولم تستر بستر من جدارى
وتأمن أن أطالع حين آتى ... عليها وهى واضعة الخمار
كذلك هدى آبائى قديماً ... توارثه النجار عن النجار
فهدى هديهم وهم افتلونى ... كما افتلى العتيق من المهارى

فذاك شعر قيل فى حرمة الجار والعفة عنه أورده عبد الملك نموذجاً وضربه مثلاً للعفة المتدفقة من خلال كلماته وثنايا أبياته ليؤدب بمثله بنوه ومن أحق به من أبناء الخلفاء وهم الخلفاء والقادة من بعد . انه لتعليم ناجع وهدى لله وأنبيائه قبل أن يكون للعجير وآبائه . وليس يقصد عبد الملك المماثلة فى نفس المعنى معنى حرمة الجار بل فى كل ما كان ذا روعة فى النفس وتهذيب للخلق .

ج — وقال وقد ذكر زهير وهرم ما يضر من مُدِح بما مدَح به زهير آل أبى حارثة من قوله

على مكثريهم رزق من يعتريهم ... وعند المقلين السماحة والبذل

ألا يملك أمور الناس « يريد الخلافة » ثم قال ما ترك منهم زهير غنياً ولا فقيراً إلا وصفه ومدحه . وانما أعجبه من هذا أن أنزل

زهير هؤلاء بمديحه منزلة الخلفاء والأئمة فى تحمل الأعباء وواجب الرعاية وهذا من عيون شعر زهير

٢ وأما البصر بالغريب والغوص على اظهار المكنون فمما روى عنه فيه .

ا — قال يوماً لجلسائه أى المناديل أفضل فقال قائل منهم مناديل مصر كأنها غرقئ البيض وقال آخر مناديل اليمن كأنها نور الربيع فقال بل مناديل عبدة بن الطبيب حيث يقول

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية وفار للقوم باللحم المراجيل
ورد وأشقر ما يأنيه طابخه ما غير الغلى منه فهو مأكول
ثمت قمنا الى جرد مسومة أعرافهن لأيدينا مناديل

فألم بعادة كانت أحب الى الفارس وأشكل بفعله اذا صاد فاشتوى فأكل وهى أن ينهض الى عرف فرسه يلمعه بدهن يده ويثب راكباً وفى مثل ذلك يقول امرؤ القيس

نمش بأعراف الجياد أكفنا اذا نحن قمنا عن شواء مضهب

ب — وقال يوماً لولده وأهله أى بيت ضربته العرب ووصفته أشرف حواء وأصلاً وبناء فقالوا فأكثروا وتكلم من حضر فأطالوا فقال هو أكرم بيت وصفته العرب بيت طفيل الذى يقول فيه

وبيت تهب الريح فى حجراته بأرض فضاء بابه لم يحجب
سماوته أسمال برد محبر وصهوته من أتحمى مصعب
وأطنابه أرسان جرد كأنه صدور القنا من بادىء ومعقب

نصبت على قوم تدور رماحهم عروق الأعادى من عرين وأشيب

وهذا بيت يعبر عما فى ديباجته أتم تعبير

ج — ومن فكه ما أثر عنه فى السؤال عن الغريب والمناقشة فيه أنه نصب الموائد يطعم الناس ومشى يحادثهم وكان كثيراً ما يفعل ذلك فجلس رجل من أهل العراق على واحدة فنظر اليه خادم لعبد الملك فأنكره فقال له أعراقى أنت قال نعم قال أنت جاسوس قال لا قال بلى قال ويحك دعنى أهنأ بزاد أمير المؤمنين ولا تنغصنى به وبينا هما فى الحديث وصل عبد الملك يقول . من القائل

اذا الأرطى توسد أبرديه خدود جوازئ بالرمل عين .

وما معناه ومن أجاب فيه أجزناه فقال العراقى للخادم أتحب أن أشرح لك قائله وفيم قاله قال نعم قال يقوله عدى بن زيد فى صفة البطيخ الرمسى فأجاب بذلك الخادم فضحك عبد الملك طويلاً فقال الخادم أخطأت ياسيدى أم أصبت قال بل أخطأت خطأ كبيراً فقال ياأمير المؤمنين هذا العراقى فعل الله به وفعل لقننيه فقال عبد الملك للعراقى أنت لقنته هذا قال نعم قال أخطأ لقنته أم صواباً قال بل خطأ قال ولم قال لانى كنت متحرماً بمائدتك فقال لى كيت وكيت فرأيت أن أكفه عنى وأضحكك قال فكيف الصواب قال يقوله الشماخ بن ضرار الغطفانى فى صفة البقرة قد جزئت بالرطب عن الماء قال صدقت وأجازه ثم قال له حاجتك قال تنحى هذا « وأشار الى الخادم » عن بابك فانه يشينه .

٣ أما علمه بالذى قال الشعراء وما من أجله يقولون فمنه ما يأتى .

ا — قال لجلسائه وكان أول خليفة ظهر منه بخل وان كان البخل إذ ذاك هو عين القصد والاعتدال الآن أى الشعراء أفضل فقال كثير بن هراسة يعرض به أفضلهم المقنع الكندى حيث يقول .

إنى أحرض أهل البخل كلهم لو كان ينفع أهل البخل تحريضى
ما قل مالى إلا زادنى كرماً حتى يكون برزق الله تعويضى
والمال يرفع من لولا دراهمه أمسى يقلب فينا طرف مخفوض
لن تخرج البيض عفواً من أكفهم إلا على وجع منهم وتمريض
كأنها من جلود الباخلين بها عند النوائب تحذى بالمقاريض

فقال له عبد الملك وقد عرف ما أراد الله أصدق من المقنع حيث يقول « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا »

ب — ومما يذكر عن علمه بكل ما قيل وايراده لتداعى الحديث ان ابن قيس الرقيات وكان ملازماً لمصعب بن الزبير وقت خروجه عليه يمدحه ويطيل كان عنده يوماً بعد إذ عفا عنه فأقبل غلمان لعبد الملك معهم عساس خلنج فيها لبن البخت يسعون فقال يا ابن قيس أين من هذا عساس مصعب التى تقول فيها

ملك يطعم الطعام ويسقى لبن البخت فى عساس الخلنج

فقال قيس وهذا من أحمد مواقفه لا أين يا أمير المؤمنين لو طرحت عساسك هذه فى عس من عساس مصعب لوسعها وتغلغلت فى جوفه فضحك عبد الملك ثم قال قاتلك الله يا ابن قيس تأبى إلا

كرماً ووفاء .

الى هنا ونمسك القول حتى نعود اليه فى العدد التالى إن شاء الله عن جودة نقده للشعر وهو أدل مما تقدم على ما كان له من صحة فكر وحسن ذوق وتمام دراية والله الموفق والهادى ؟

السباعى بيومى
بالمدرسة الثانوية الملكية بمصر

شعر أندلسى قديم

من محاسن ما اتفق لى أثناء رحلتى ببلاد المغرب الأقصى صيف العام الماضى ونحن نقطع الطريق بالسيارة من الدار البيضاء إحدى الثغور على المحيط الأطلسى الى مراكش الحمراء العاصمة القديمة لتلك البلاد أننا أوقفنا السيارات قليلا للاستراحة من عناء السفر على مقربة من قرية تدعى قرية ابن الرشيد فنزلت وسرت قليلاً فأبصرت عن كثب بيتاً خلوياً ذا بستان صغير يشبه فى كثير من الوجوه بيتاً لى بقرية عمروس منوفية فأثار أشجانى ورأيتنى مسافاً نحوه لأجول حوله وأمتع النظر به ففعلت وكان من ذلك أن أبطأت على الرفاق وكان فيهم حضرة الأديب الفاضل والتقى الورع السيد الطيب المقرى أحد الوزراء السابقين ونجل حضرة صاحب الدولة الحاج محمد المقرى الصدر الأعظم وعندهم كنت نزيلا ومنهم لقيت من أنواع التجلة وكرم المثوى ما لا يحيط به بيانى ولا يقدر على تعداده لسانى فلما عدت بادرنى السيد الطيب